﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [يس: 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اتِّساعُ دائرةِ الاستدلالِ أوقعُ في إثباتِ البرهانِ

لَمّا اسْتَدَلَّتِ الآياتُ السّابقةُ بالأَحْوالِ الأَرْضيَّة وهي المكانُ الكُلّيُّ على البعثِ والتَّوحيدِ، ناسَبَ الانتقالُ إلى الاسْتَدلالِ باللَّيْلِ والنَّهارِ وهوَ الزَّمانُ الكُلّيُّ، فَإنَّ دلالَةَ المَكانِ والزَّمانِ مُناسِبَةٌ؛ لِأَنَّ المَكانَ لا تَسْتَغْني عَنْهُ الجَواهِرُ، والزَّمانَ لا تَسْتَغْني عَنْهُ الأَعْراضُ[1]، فأتَى بالزَّمانِ والمكانِ كليهما ليكونا أداةَ حقٍّ في إثباتِ ما يُنكِرُه المُشرِكونَ.

كما أنَّه يُقالُ: لَمّا اسْتَدَلَّتِ الآياتُ السّابقةُ بالمَكانِ الَّذي هوَ المُظْلِمُ وهوَ الأَرْضُ فقالَ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾، اسْتَدَلَّ بالزَّمانِ الَّذي فيهِ الظُّلْمَةُ وهوَ اللَّيْلُ، ووَجْهٌ آخَرُ: وهوَ أَنَّ اللَّيْلَ فيهِ سُكونُ النّاسِ وهُدوءُ الأَصْواتِ وفيهِ النَّوْمُ وهوَ كالمَوْتِ ويَكونُ بَعْدَهُ طُلوعُ الشَّمْسِ كالنَّفْخِ في الصّورِ فَيَتَحَرَّكُ النّاسُ، فَذَكَرَ المَوْتَ كَما قالَ في الأَرْضِ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾، فذَكَرَ مِن الزَّمانَيْنِ أَشْبَهَهُما بالمَوْتِ، كَما ذَكَرَ مِنَ المَكانَيْنِ أَشْبَهَهُما بالمَوْتِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَسۡلَخُ﴾: أصلُ (سلخ) واحدٌ، وهو إخراجُ الشَّيءِ عن جِلْدِهِ ونزعُه منه، والأصلُ: سلختُ جِلْدَةَ الشّاةِ سَلْخًا[3]، والسّلخُ هو الكشطُ والإزالةُ والنّزع، ويُقال: انْسَلَخَ الشَّهرُ مِن سنَتِه، والرَّجلُ مِن ثيابِه، والحيَّةُ مِن قشرِها، والنَّهارُ مِنَ اللَّيلِ، بمعنى أزيلَ عنه[4]،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 275.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 276.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلخ).
(4) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (سلخ).

وكلُّ شَيْءٍ خرجَ من شَيْءٍ فقد انْسَلَخَ مِنْهُ[1]، ومعنى ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾: نُخرِج مِنْهُ النَّهار إخراجًا، ونَنزِعُه منه حتَّى لا يبْقى مَعَه شَيْءٌ من ضوءِ النَّهار[2].

2) ﴿مُّظْلِمُونَ﴾: (ظلم) أصلٌ يدلُّ على خِلافِ الضّياءِ والنّورِ[3]، ومنه: الظُّلْمَة والظُّلُمَة، بِضَمِّ اللّام: ذَهابُ النّورِ، وهيَ خِلافُ النّورِ، وجمعُ الظُّلْمةِ: ظُلَمٌ وظُلُماتٌ وظُلَماتٌ وظُلْمات، والظَّلامُ اسْمٌ لذَلِك[4]، وأَظْلَمَ فلانٌ: دخَلَ في ظُلْمَةٍ، ومنه أصبح وأمسى[5]، والمُرادُ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: فإذا هم داخِلون في الظّلمة[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ بُرهانٌ باهِرٌ على عَظَمةِ الخالِقِ

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ بعضَ دَلائلِ وحدانيَّةِ اللّهِ تعالى، وعَظيمِ قُدرتِه على إحياءِ الموتَى، فاللَّيلُ يُنزَعُ عنه النَّهارُ السّاتِرُ له، فإذا النّاسُ داخلونَ في الظَّلامِ المُشتَمِلِ عليهم من كلِّ جانبٍ، المُحيطِ بهم مِن كلِّ جهةٍ[7]، وهذهِ الآيةُ دالَّةٌ على وحدانيَّةِ اللّهِ وألوهيَّتِه لجَرْيِ الكونِ في الليلِ والنّهارِ على مجرًى واحدٍ، وسَنَنٍ واحدٍ، فهذا شيءٌ مُتّسِقٌ لا يتغيَّر، فدلَّ ذلك على أنَّه فِعلُ إلهٍ واحدٍ عليمٍ حكيمٍ، إذ لو كان فِعلَ عددٍ من الآلهةِ، لكان إذا أتى أحدُهُما بالليلِ غلَبَ على الآخَرِ، فلا يَقدِرُ المغلوبُ على إتيانِ النَّهارِ بعدَ ذلك وغلَبَه صاحبُه وقهرَه، وكذلك مُنشِئُ النّهارِ إذا غلَبَ على مُنشِئِ الليلِ لَهَمَّ بِهِ على

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سلخ).
(2) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 287، والسّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 467، وابن الهائم، التّبيان، ص: 272.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ظلم).
(5) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عُمدة الحُفّاظ: (ظلم).
(6) الواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 482.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 434، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 26، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 8/ 366.

إتيانه بالآخَرِ وغلبَه عليه، ويَمنَعُ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه عن إدخالِ شيءٍ ممّا أنشأَهُ هو فيما أنشَأَهُ الآخَرُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ العطفِ بينَ الجُمَلِ في الآية:

اتِّحادُ الجُملِ المُتعاطِفةِ على إثباتِ حقيقةٍ واحدةٍ من مظاهرَ شتَّى

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ عَطَفَتِ الجملةَ على قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾، فأخذَتْ حُكمَها في العطفِ على قصّةِ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾، فيكونُ الكلامُ على التّتابُعِ والتّفصيلِ بذِكْرِ الآياتِ الدّالَّةِ على الإحياءِ بعدَ المَوتِ، وجاءَ الوصلُ بطريقِ العطفِ بالواوِ لاشتراكِ الجُملةِ المعطوفةِ والمعطوفِ عليها في الجهةِ الجامعةِ، وهي إبطالُ ما اعتقدَهُ المُكذِّبونَ من البعثِ ومن الإشراكِ باللّهِ ببيانِ الدّليلِ الواضحِ عليهما وعلى قدرةِ اللّهِ على فعلِ كلِّ ما يَشاءُ، فاتّفقَتِ الجُمَلُ على بيانِ حقيقةٍ كلّيّةٍ واحدةٍ من مظاهرَ شتَّى.

نكتةُ استعمالِ لفظِ ﴿وَءَايَةٌ﴾ وتنكيرِه:

وضوحُ الآياتِ وانكشافُها موصِّلٌ إلى الحقِّ المُبينِ

استعمَلَ النَّظمُ الكريمُ مُفردةَ ﴿وَءَايَةٌ﴾، للإشعارِ بأنَّ سَلْخَ النّهارِ من اللّيلِ علامةٌ أخرى باهرةٌ عظيمةٌ وهي ظاهرةٌ واضحةٌ، فتكونُ هذه الآيةُ دليلًا آخَرَ على المُستدَلِّ عليه، ونُكِّرت للتّفخيم، فهذه الآيةُ ليست مِثلَ سائرِ الآياتِ في فخامتِها ووضوحِها؛ لأنَّها آيةٌ سَمائيّةٌ عُلويّةٌ مُحيطةٌ بالبَشَرِ مِن كلِّ جانبٍ، ومنافعُها تبلغُ الجميعَ، فمَن نظَرَ تأمُّلَها في كلِّ يومٍ، استدَلَّ بها على الحقِّ الأبلَجِ، فهي آيةٌ مُنكشفةٌ عظيمةٌ لا تَخفَى على ناظرٍ، ولا تغيبُ عن مُتفكِّرٍ.

أثرُ إعرابِ ﴿وَءَايَةٌ﴾ في توجيهِ النَّظمِ:

يَحتَمِلُ لفظُ ﴿وَءَايَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 8/ 517.

تختلفُ لطائفُ التّوجيهِ باختلافِ معاني التّفسيرِ

﴿ٱلنَّهَارَ﴾ أن يكونَ خبرًا مُقدَّمًا على المبتدَأِ ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾، وعلى هذا الإعرابِ يكونُ تقديمُ الخَبَرِ لِلاهتمامِ به؛ للإشعارِ بعِظَمِ هذهِ الآيةِ وفخامتِها، وكونِها وحدَها تكفي لِلاستدلالِ على توحيدِ اللهِ وعلى الحَشرِ بعدَ الموتِ، ويحتملُ أَنْ يَكونَ لفظُ (آيَة) مبتدأً و﴿لَّهُمُ﴾ صفةً مُخصِّصةٌ، ولفظُ ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ هو الخَبرَ، أو جُملةُ ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ هي الخَبر، لإفادةِ أنَّ (آية) دالَّةٌ على المطلوبِ متحقِّقةٌ في اللَّيلِ نَسلَخُ منه النّهارَ، فمَنْ أرادَها وجدَها، فهي للإجابةِ عمّنْ يَطلُبُ آيةً لإثباتِ صحّةِ ما يُنكرُهُ.

معنى اللّامِ ودلالتُها في ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾:

آيةُ اللّيلِ والنّهارِ استدلالٌ باهرٌ ونفعٌ ظاهرٌ

اللّامُ الدّاخلةُ على الضّميرِ في قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ للاختصاصِ، وجاءت لإفادةِ معنى الاستدلالِ والإنعامِ على المشركينَ المُنكرينَ للبعثِ، ففيهِ معنى الاستعطافِ والتَّذكيرِ بالنِّعَمِ، وبرحمةِ اللهِ ليُؤمنوا بهِ ﷻ وبالبعثِ بعدَ الموتِ، ولإفادةِ معنى النّفعِ للعبادِ على القَولِ بأنَّ الضَّميرَ يَرجِعُ لعمومِ العبادِ، ولا مانعَ من الجمعِ بين معنَيَي الاستدلالِ والنَّفعِ.

تعيينُ مَرجعِ الضَّميرِ في ﴿لَّهُمُ﴾:

يُحتَمَلُ عَودُ الضَّميرِ إلى المُشركينَ أو إلى عُمومِ العبادِ

الضَّميرُ في ﴿لَّهُمُ﴾ يَحتَمِلُ أن يعودَ على كفّارِ قريشٍ ومَنْ يجري مَجراهم في إنكارِ البعثِ والحشرِ، ويَحتَمِلُ أن يعودَ على العبادِ جميعًا كما تقدَّم في ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾، ويدخُلُ في عُمومِ الضّميرِ المُشركونَ ومَنْ يُنكِرُ الحَشْرَ دُخولًا أوّليًّا، بدَلالةِ السّياقِ.

معنى تعريفِ لَفظَي ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ و﴿ٱلنَّهَارَ﴾:

(أل) في لفظَي ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ و﴿ٱلنَّهَارَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ للعهدِ الحُضوريِّ؛ أي: اللّيلُ الَّذي يُشاهدونَه، والنّهارُ الَّذي يَعرفونَه لا شكَّ عندَهُم فيهِ.

بلاغةُ احتمالِ الجملةِ الواحدةِ للفَصْلِ وعَدَمِهِ:

قابليّةُ تعدُّدِ زوايا النَّظَرِ في الجُملةِ الواحدةِ دليلُ قوّةِ رَصْفِ الكلامِ وبديعِ النّظمِ

جاءت جُملةُ ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ بدونِ واوٍ على احتمالِ أن تكونَ في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ ﴿ٱلَّيۡلُ﴾، وهو الظّاهر[1]، وهيَ حالٌ مُقيِّدةٌ لِما يدُلُّ عليهِ الخَبَرُ مِن مَعنى الآية؛ أي: اللّيلُ حالَ سَلْخِنا النّهارَ منه؛ لِأَنَّ سَلْخَ النّهارِ هو مناطُ الاستدلالِ على إمْكانِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ وعلى توحيدِ اللّهِ تعالى، وتَحتَمِلُ أنْ تكونَ خبرًا لـ﴿ٱلَّيۡلُ﴾، والمبتدأُ والجُملةُ الفِعليّةُ خبرًا لـ(آيَةٌ)، فيكونُ مجيءُ الجُملةِ الفعليةِ خَبَرًا لتقويةِ الحُكمِ وتحقيقِه، وتَحتَمِلُ أن تكونَ صفةً لـ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ على قولٍ بأنَّ (أل) فيه للجِنسِ، والمُعرَّفُ بـ(أل) الجنسيَّةِ في حُكمِ النّكِرةِ باعتبارِ المَعنَى[2]، والمَعنَى: وآيةٌ لهُم اللّيلُ موصوفًا بكونِنا نَسلَخُ النّهارَ مِنه، وعلى هذهِ الاحتمالاتِ فالجُملةُ ليستْ مِنَ الفَصلِ؛ لِأَنَّ الحالَ والخبرَ والصِّفةَ من تمامِ الكلامِ، وليس بمستقلٍّ عنه.

ويُحتمَلُ أن تكونَ جُملةُ ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ بيانًا لِجُمْلَةِ ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ﴾ لِبَيانِ موضعِ الآيَةِ في اللّيلِ[3]، فهي من كَمالِ الاتِّصالِ، وتَحتَمِلُ أن تكونَ اسْتِئْنافًا بَيانيًّا، كَأَنَّ سائلًا سَأَلَ: كَيْفَ كانَ الليلُ آيةً لهُم فقال: ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أيْ: عن طَريقِ سَلْخِنا النّهارَ منه[4]، فهي من شِبهِ كمالِ الاتِّصالِ، وعلى هذيْنِ الاحتمالَيْنِ فالجُملةُ تدخُلُ في بابِ الفَصلِ، ومَنْ يتأمّلْ هذهِ الأوجُهَ المُحتَمَلةَ، يتبيَّنْ لهُ بديعُ نَظمِ القرآنِ، وقوّةُ رصفِهِ وبهاءُ نَسقِه.

نكتةُ استعمالِ مُفرَدةِ ﴿نَسۡلَخُ﴾:

مِن خصائصِ السّلْخِ التَّدرُّجُ إلى بُلوغِ الغايةِ

استَعمَلَ النَّظمُ الكريمُ مُفرَدةَ السَّلخِ في قولِه تعالى: ﴿نَسۡلَخُ﴾ دونَ غَيرِه، لِأَنَّ انْسِلاخَ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ أَنْ يَبْرَأَ مِنْهُ ويَزولَ

(1) أبو حيّان، شرح التّسهيل: 2/ 110.
(2) ابن مالك، شرح التَّسهيل: 1/ 116، والسَّمين، الدُّرُّ المَصون: 3/ 252.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 14.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 12.

عَنْهُ حالًا فَحالًا، بحيثُ يكونُ المسلوخُ أرقَّ من المَسلوخِ منه، كسَلْخِ الجلدِ عن مِثلِ الشّاةِ، كَذلِكَ نَزعُ النّهارِ من اللَّيلِ، فإنَّه يزولُ عنه شيئًا فشيئًا ووقتًا فوقتًا إلى أنْ لا يبقَى معه شيءٌ مِن ضوءِ النّهارِ، فيَتِمَّ الانسلاخُ[1].

غرضُ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿نَسْلَخُ﴾:

جاءَ التّعبيرُ بصيغةِ المُضارعِ في قولِه تعالى: ﴿نَسْلَخُ﴾، لتصويرِ الحالِ المُؤذِنِ باستمرارِ السّلخِ وأنَّه يكونُ حالًا فحالًا، فهذا هو الواقعُ فلا يُناسبُه إلّا صيغةُ المضارعِ، ولمّا كانت هذه الآيةُ مَسوقةً لبيانِ القدرةِ القاهرةِ في الزّمانِ، اختيرَ المضارعُ الدّالُّ على التَّجدُّدِ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، بخلافِ ما سَبَقَ، فإنَّه بيانُ قدرتِه في المكانِ، فلا يتجَدَّدُ الزَّمانُ فيهِ مِثلَ تجدُّدِه في هذهِ الآيةِ[2].

تصويرُ نزعِ النّهارِ من الليلِ مُتجدِّدٌ في أعيُنِ النّاظِرينَ

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿نَسْلَخُ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ استعارةٌ بليغةٌ، لأنَّ السَّلخَ إزالةُ الشّيءِ من الشَّيءِ وتخليصُه منه تمامًا على وجهٍ يُفيدُ شدَّةَ ملابستِه له والتحامِه بهِ قبلَ السَّلخِ، فكذلكَ سَلْخُ النّهارِ من اللَّيلِ[3]، وفي توجيهِ هذه الاستعارةِ وجهان[4]: أحدُهما أن يكونَ السّلخُ بمعنى النّزعِ، فيكونَ مجازًا مُستعارًا من سَلخِ الإهابِ عن مِثلِ الشّاةِ؛ أيْ: نَزعِه عنها وإخراجِه الإهابَ من الشّاةِ، فاستُعيرَ منه لكَشفِ الضّوءِ عن مكانِ اللَّيلِ وإزالتِه منه، فشُبِّه كَشفُ الضّوءِ وإزالتُه من مكانِ اللَّيلِ بسلخِ الجلدِ من الشّاةِ، فيكونُ قد شبَّهَ النَّهارَ بالنِّسبةِ للَّيلِ بإهابٍ من النّورِ أحاطَ باللَّيلِ إحاطةَ الإهابِ بالشّاةِ، فلمّا نُزِعَ كانَ اللَّيلُ، وحُذِفَ المُشبَّه به وذُكِر المُشبَّه لتكونَ الاستعارةُ تصريحيَّة

السَّلخُ إزالةُ الجلدِ عن الباطنِ لكشفِ الخَفيِّ وبيانِ الحقائقِ

(1) الزّركشيّ، البرهان: 3/ 436، وابن الهائم، التّبيان، ص: 272.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 136.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 482.
(4) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 2349.

تبعيَّة[1]، والجامع أمرٌ عقليٌّ وهو ما يُعقَلُ من ترتُّبِ أحدِهما على الآخَرِ، فإنَّه كما يترتّبُ ظهورُ اللّحمِ على كَشْطِ الجلدِ، كذلكَ يترتّبُ ظهورُ ظلامِ اللَّيلِ على كشفِ الضّوءِ عن مكانِه، فالمُستعارُ له نزعُ النّهارِ من الليلِ، والمُستعارُ مِنه نَزعُ الجلدِ مِن مَسلوخِه، والمعنى: سَلَخْنا النَّهارَ مِن اللّيلِ ونَزعْناه مِنه.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظي ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ و﴿ٱلنَّهَارَ﴾:

الظُّلمةُ هي الأصلُ والنّورُ عارضٌ، فإذا زالَ العارِضُ ثبتَ الأصلُ

شُبِّهَ النَّهارُ بِجِلْدِ الشّاةِ الذي يُغَطّي ما تَحْتَهُ، كَما يُغَطّي النَّهارُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ في الصَّباحِ، وشُبِّهَ كَشْفُ النَّهارِ وإزالتُه بِسَلْخِ الجِلْدِ عن الشّاةِ، فصارَ اللَّيْلُ بِمَنْزِلَةِ جِسْمِ الحَيَوانِ المَسْلوخِ مِنْهُ جِلْدُهُ، فأفادَ أنَّ اللَّيلَ هو الأصلُ، وأنَّه كانَ قَبلَ النَّهارِ، وأنَّ الظُّلمةَ كالأصلِ والنّورَ دَخيلٌ عليه، فإذا سُلِخَ النّهارُ مِن اللَّيلِ؛ أيْ: نُزِعَ النّورُ مِن الظُّلمةِ، خَلَصتِ الظُّلمةُ فكان اللَّيلُ، وإذا أُلبِسَتِ الظُّلمةُ النّورَ كان النهارُ[2]، ففي الكلامِ إشعارٌ بأنَّ النّورَ بالنِّسبةِ للكُرةِ الأرضيَّةِ عارِضٌ مِن نورِ الشَّمسِ، والثّاني أن يكونَ السّلخُ بمعنى الإخراجِ، كما يُقالُ: سَلَخْتُ الشّاةَ من الإهابِ، والشّاةُ مَسلوخةٌ، فإنَّه كما يُقالُ: الجِلدُ مَسلوخٌ، يُقالُ: الشّاةُ مَسلوخةٌ[3]، فالمُستعارُ لَهُ على هذا الوجهِ ظُهورُ النَّهارِ مِن ظُلمةِ اللَّيلِ، والمُستعارُ مِنهُ ظُهورُ المَسلوخِ مِن جلدتِه؛ فالطَّرَفانِ حِسّيّانِ، والجامعُ عقليٌّ كذلكَ، وهو ما يُعقَلُ من تَرتُّبِ أحدِهما على الآخَرِ[4]، وتقديرُ المعنى على هذا الوجهِ: (نُخرِجُ مِنهُ النّهارَ إخراجًا لا يَبقَى معَه شيءٌ من ضوئِهِ)[5].

(1) الطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 13/ 47، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 349.
(2) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 12/ 358.
(3) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 2349، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 167.
(4) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 389.
(5) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 287، والطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 13/ 47، والشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 240.

علَّةُ ذِكْرِ مُتمِّمات آيةِ اللَّيلِ في الآية:

الاستدلالُ بطريقِ القياسِ على الشّبيهِ

لِسائلٍ أن يسألَ عن نكتةِ ذِكْرِ: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ واللَّيلُ في نفسِه آيةٌ؟ والجوابُ هو أنَّ الشّيءَ تتبيَّن بضدِّهِ مَنافِعُه ومَحاسِنُه[1]، فذِكْرُ النّهارِ معَ اللَّيلِ يَزيدُ من ظُهورِ آيةِ كلٍّ واحدٍ منهُما، كما أنَّه لمّا كانَ المَقصودُ في هذهِ الآيةِ إقامةَ الدّليلِ على إحياءِ المَوتَى وعلى وحدانيَّةِ اللّهِ تعالى؛ أَجرَى الكلامَ على معنى الإخراجِ والنّزْعِ المُقارِبِ لحالةِ الإحياءِ بعدَ المَوتِ، ليكونَ الكلامُ بمثابةِ القياسِ على الشَّبيهِ.

نوعُ (مِنْ) ودلالتُها في ﴿مِنْهُ﴾:

احتمالُ الابتداءِ والملابسةِ لشدّةِ الاختلاطِ

حرفُ (مِنْ) في قولِه تعالى: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ للابتداءِ[2]، بمعنَى: ابتداءُ سلخِ النّهارِ يكونُ من اللَّيلِ، وتَحتَمِلُ أن تكونَ للمُلابَسةِ، بمعنى سَلخِ النّهارِ من اللَّيلِ الَّذي كان مُختلطًا بهِ ومُتخلِّلًا في أجزائِه بإزالةِ الضَّوءِ وكشفِه عن حقيقةِ اللَّيلِ[3].

نوعُ الفاءِ وفائدتُها في ﴿فَإِذَا هُم﴾:

اختصاصُ اللَّيلِ بإعقابِ النَّهارِ مِن الآياتِ اليقينيّةِ الثّابتةِ

حرفُ الفاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ للتّرتيبِ والتّعقيبِ، والمُرادُ التّعقيبُ العُرفيّ، وذلكَ ممّا يختلفُ بحَسَبِ الأُمورِ والعاداتِ، فَرُبَّما يَطولُ الزَّمانُ المُتوَسِّطُ بَينَ شَيْئَيْنِ ولا يُعَدُّ ذلكَ في العادةِ مُهلةً كَما في هَذِهِ الآيَةِ، فَإنَّ مِقْدارَ النَّهارِ وإن توَسَّطَ بَينَ إخْراجِهِ من اللَّيْلِ وبَينَ دُخولِ الظُّلمَةِ، لكنَّه يَعقُبُهُ عُرفًا؛ فجاءَ بالفاءِ لإفادةِ أنَّهُ لا يَعقُبُ النّهارَ إلّا اللَّيلُ[4]، وهذهِ الآيةُ دليلٌ على سُنَنيّةِ الآياتِ الَّتي خَلقَها اللّهُ تعالى في الكونِ، وأنَّ ما يُقالُ مِن التّطوُّرِ في مَظاهِرِ الحياةِ واختلافِ مَظاهِرِ اللَّيلِ والنَّهارِ ما هو إلّا افتراءٌ وخَرَصُ وهْمٍ لا يَرقَى للعقلِ الصَّحيحِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 276.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 11.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 16/ 128.
(4) الكفويّ، الكليّات، ص: 514، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 11.

بلاغةُ التَّعريضِ باستعمالِ (إذا) الفُجائيّةِ:

المـفـاجـأةُ في ذَهـابِ الضّياءِ وحُلولِ الظّلامِ بالكلّيّةِ

(إذا) في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ للمُفاجَأةِ، فيُسألُ عن سِرِّ استعمالِها في هذا السّياقِ، ومَجيءُ الظُّلمةِ بعدَ الضّياء أمرٌ غيرُ مفاجئٍ لاعتيادِ النّاسِ عليه؟ وبيانُه أنَّه لمّا كانَ دُخولُ الظَّلام الشّامِلِ بعدَ زَوالِ النّهارِ بالكُلّيّةِ أمرًا غَريبًا عَظيمًا يَنْبَغي أَلّا يَحصُلَ إلّا بعدَ إضعافِ ضَوءِ النّهارِ لَم يُعتدَّ بِهِ ولم يُعَدَّ مُهلةً؛ بل جُعِلَ مُفاجِئًا لإخْراجِ النَّهارِ بِلا تَراخٍ[1]، وأيضًا لمّا كان نَزعُ الضَّوءِ عنِ اللَّيلِ مُترقَّبًا فيهِ أن يكونَ في مُدَّةٍ مديدةٍ لكَونِ ظُهورِه في غايةِ الكمالِ كان حُصولُ الظَّلام بعدَهُ في مُدةٍ قصيرةٍ أمرًا غيرَ مُترقَّبٍ[2]، فناسَبَهُ المُفاجأةُ، كما تُفيدُ (إذا) الَّتي تدُلُّ على المُباغَتةِ أنَّه ليسَ بيدِهم بعدَ انسلاخِ النّهارِ مِن اللَّيلِ أَمرٌ، ولا بُدَّ لَهُم مِنَ الدُّخولِ في الظّلمةِ إذا زالَ النّهارُ، ولا يَقدِرون على دَفعِه[3]، وفي المُفاجَأةِ استِغرابٌ واستعجابٌ من فجأةِ الدّخولِ في الظّلمةِ، ليتضَمّنَ التّعجيبَ مِن هذهِ الآيةِ كلِّها، وفي الآيةِ تعريضٌ بالمشركينَ، كأنَّه قال: وآيةٌ لهُم القَلبُ نَسلَخُ منه نورَ الإيمانِ، فإذا هو مُظلِمٌ، وفي التّعريضِ مَزيدُ تحذيرٍ.

تعيينُ مَرجعِ الضّميرِ ودَلالتُه في ﴿هُم مُّظْلِمُونَ﴾:

الشِّـركُ باللهِ تـعـالى ظُـلـمـةٌ وتوحيدُه نورٌ

الضّميرُ ﴿هُم﴾ في قولِه: ﴿هُم مُّظْلِمُونَ﴾ عائدٌ إلى الكفّارِ الَّذين يُحتَجُّ عليهِم بالآياتِ، والدّخولُ في الظّلمةِ بعدَ انسلاخِ النّهارِ مِن اللّيلِ وإن كانَ يَستغرِقُ جميعَ النّاسِ - كما هو في الواقعِ - لكنْ لَمّا كانَ السّياقُ في بيانِ الاستدلالِ على الحَشْرِ والبعثِ بعدَ المَوتِ كان الكفّارُ هُم المقصودينَ بالكلامِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم بشِرْكِهم وإنكارِهم البعثَ دخلوا في الظُّلمةِ.

(1) الكفويّ، الكليّات، ص: 514.
(2) السّيالكوتيّ، حاشيةٌ على المُطوّل: 1/ 495.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 276.

مناسبةُ لفظِ ﴿مُّظْلِمُونَ﴾ وصيغتُها:

الإظلامُ معنًى حسيٌّ كما أنَّ الشِّركَ ظُلمٌ معنويٌّ

أفادتْ صيغةُ ﴿مُّظْلِمُونَ﴾ أنَّهم داخِلون في الظُّلمةِ، كما يُقالُ: أظلَمْنا؛ أيْ: دخلْنا في ظلامِ اللّيلِ، ومنه: أَصْبَحْنا وأَضْحَيْنا وأَمْسَيْنا، فالهَمزةُ في هذه الكلماتِ للدُّخولِ في الزّمانِ أو المكانِ، والمعنى: فإذا هُم داخِلونَ في الظُّلمة[1]، وهو المُناسِبُ للفظِ ﴿نَسْلَخُ﴾ الذي يُفيدُ نزعَ النّهارِ حالًا فحالًا، فلا يُناسِبُ مقامَ التّعبيرِ بـ﴿نَسْلَخُ﴾ سوى أن يترتّبَ عليهِ ويَعقُبَهُ الدّخولُ في الظُّلمةِ، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾، فلِكُلِّ كلمةٍ مع صاحبتِها مقامٌ، كما أنَّ في الصّيغةِ ما يدلُّ على أنَّ الإظلامَ مِن صنيعِهم، ففيهِ إشارةٌ إلى أنَّهم آثَروا ظُلمةَ الجهلِ على نورِ العلمِ.

بديعُ التّوشيحِ في الآية:

ما بعدَ انسلاخِ الكاشِفاتِ إلّا إظلامُ المُبْصِراتِ

مَن سَمِعَ في صدرِ الآيةِ انسلاخَ النّهارِ من اللّيلِ علِمَ أنَّ الفاصلةَ ﴿مُّظْلِمُونَ﴾، فإنَّ مَنِ انسلَخَ النّهارُ عن ليلِه أظلَمَ ما دامتْ تلكَ الحالَ؛ أيْ: دخلَ في الظُّلمةِ، ولذلك سُمّيَ توشيحًا؛ لأنَّ الكلامَ لمّا دلَّ أوَّلُه على آخرِه نُزِّلَ المعنى منزلةَ الوِشاحِ، ونُزِّلَ أوَّلُ الكلامِ وآخرُه منزلةَ العاتِقِ - وهو ما بَينَ المنكِبَينِ - والكَشْحِ - وهو الجزءُ الجانبيُّ من الجسمِ ما بينَ الضُّلوعِ إلى الخاصرةِ - اللَّذَينِ يَجولُ عليهِما الوِشاحُ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السَّلخُ والإخراجُ:

السّلخُ نزعُ أحدِ الملتصقَينِ، والإخراجُ أعمُّ منهُما

السَّلخُ إخراجُ ظَرفٍ أو ما يكونُ بمنزلةِ الظّرفِ له، بحيثُ يكونُ المَظروفُ والظّرفُ متلابِسَيْنِ، ويكونُ المَسلوخُ أرقَّ من المسلوخِ منه، ولهذا يُقالُ: لكُلِّ شيءٍ يُفلَقُ عن قِشرِه أنَّه قد انسَلَخَ، والإخراجُ هو

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 482.

(2) ابن أبي الإصبع، تحرير التّحبير، ص: 229، والسّيوطيّ، معترك الأقران: 1/ 39.

عامٌّ في كلِّ شيءٍ، وهو الإزالةُ أو الانفصالُ من مُحيطٍ أو ما يَجري مَجرى المُحيطِ إلى خارجِه[1]، فلا يدُلُّ الإخراجُ على معنى المُلابَسة بين الشّيئَيْن، ولا على أنَّ المسلوخَ أرقُّ مِن المسلوخِ منه، ولا على معنى النّزعِ الحاصلِ من السّلخ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 302.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»